

مدرسة المهجر من بين المدارس الحديثة التي انتفضت على ما نادى به التقليديّة، فهاجمتها هجوما عنيفا، محطة أغراضها الشعرية بدعوى التجديد والثورة والتطور.

وعليه فإن شعراء المهجر الأمريكي يمثلون حركة تجديدية كحركة الديوان وغيرها من المجددين، ولكنها أكثر حرصا على التغيير والنهوض "هاجر شعراؤها اللبنانيون إلى الأمريكيين على إثر هذا الصراع الذي نشأ في المجمع العربي بين الطبقة الوسطى، التي بدأت تتبلور عندها ثقافات العصر وطبقة الإقطاعيين أصحاب الثروة والسلطان، التي كانت تقف حائلا دون تحقق طموح الطبقة الوسطى، وما تتطلع إليه من عدالة وحرية"

وفي خضم البحث عن الحرية والاكتفاء، انقسم الأدباء المهجريون إلى فئتين، فئة المهجر الشمالي الولايات المتحدة الأمريكية وفئة المهجر الجنوبي البرازيل، وما يهمنها الرابطة القلمية.

ومن أعضاء الرابطة القلمية نجد رشيد أيوب، عبد المسيح حداد، جبران، نعيمة، أبي ماضي، نسيب عريضة أنشأت في نيويورك 1920 برئاسة جبران. أبدع هؤلاء في النظم فكان نظمهم شعرا رائعا ساحرا، يسحر القلوب والعقول على السواء- مثلما كتبوا في القصة والرواية، فاشتهرت كتابتهم تلك بالجودة والإيحاء؛ منتهجين في ذلك النهج الفلسفي، إذ يتميز أدب كل من جبران وأبي ماضي والريحاني ونعيمة ونسيب عريضة بالنزعة الفلسفية الروحية أو الاجتماعية أو هما معا². إلى إن غدا إنتاجهم الأدبي هذا بصمة تجديدية جادة تركت أثارها العميقة في الساحة الأدبية العربية الحديثة.

تكتلت أعضاء الرابطة القلمية بعضها مع بعض لخدمة الأدب، فتوحدت نزعاتها ومراميها، فعلى الرغم من عدم تكافئهم في المواهب والإنتاج، إلا أن ذلك لم يمنع من تقاربهم في الميول الأدبية والذوق الفني، فما كان يكتبونه يعبر عن قرائحهم اليانعة، يصل للعالم العربي عن طريق جريدة "السائح" لعبد المسيح حداد، كترية خصبة حملت ثمار هؤلاء وأخرجتهم ثمارا طيبة للوجود الأدبي، مثلما نجد مجلة "الفنون" كذلك لنسيب عريضة، التي مثلت هي الأخرى مسرحا لأقلامهم وميدان قرائحهم الجمالية، وعليه تكاثفت جهود هؤلاء أحد عشرة سنة 1920-1931، فكان أكثر عمالها نشاطا في الإنتاج الأدبي خمسة: جبران، نعيمة، أبو ماضي، نسيب عريضة، رشيد أيوب، نظرا لما يتميز بالخلق والإبداع وروعة التجديد³. مواكبة للحياة الأدبية الجديدة والنهضة مع روح العصر.

السمات البارزة في أدب المهجر:

يتفق الأدب المهجري مع جماعة أبولو والديوان في الوقوف ضد القيود التي طالما أعاقت القصيدة العربية، ولهذا تراهم ينادون بجملة من العناصر الجديدة التي منحت النص الشعري الحديث ديباجة تعبيرية تمس القلب والجواهر معا، الأمر الذي جعلها تقفز قفزة نوعية تلتزم بالجديد الذي يتواكب والعصر الحديث. ومن بين هاته السمات أو الخصائص التحرر التام من قيود القديم، فإن الأدب المهجري يحمل لقاحا جديدا من الكنوز الفكرية الواسعة - مثلما هو للريحاني- ومن العاطفة الإنسانية الرحبية، ومن غذاء روعي

دسم في آنية يبهر بريقها العيون، ويطرب رنينها الموسيقي العقول، ويفتح في حنايا القلوب تعطشا إلى كل جديد بارع وجميل⁵.

فإذا كانت القصيدة تتخذ قالباً ثابتاً يقف عنده الشعراء القدامى، فإن شعراء التجديد شعراء المهجر نادوا بالثورة على القديم الجامد، فحرروا القصيدة: الحديثة من الانحناء أمام عوائق الوزن والقافية، متخذين من المواءمة بين الشكل والمضمون مطية أساسية في النهوض إلى كل ما هو محدث وجديد، يستطيع بدوره أن يمنحها قوة وفعالية.

كما يعد الحنين إلى الوطن أبرز سمة تميز شعراء المهجر؛ لأنهم عانوا لواعج الغربة واكتنوا بنيران الشوق إلى الحياة البسيطة، بعد أن صدمتهم مادية الغرب، وعليه تعد ميزة التأمل من أبرز ما يميز أدب الرابطة القلمية بنوع خاص، فهم من حاول التحليق بخياله في عوالم مجهولة. كمخائيل نعيمة وجبران وغيرهما.

ولهذا تجدهم في كثير من قصائدهم يمزجون بين روعة الحقيقة ودقة الإفصاح، مما يطغى على ذلك فنية وموسيقى شعرية سعدت من فعالية تصويرهم للواقع المتأمل فيه.

مخائيل نعيمة والغربال:

يعد الغربال كتاباً ذا قيمة عالية، لتأثيره الواسع على كثير من النقاد والأدباء، الغربال لم يؤلفه مخائيل نعيمة دفعة واحدة، وإنما هو مجموعة من المقالات النقدية التي نشرها في الصحف أو مقدمات لبعض مؤلفاته مثل مقاله عن الرواية التمثيلية العربية مقدمة لمسرحيته "الأباء والبنون".

وكتاب الغربال يضم إحدى وعشرون مقالة، منها ما خصصه للهجوم العنيف على الأدب العربي التقليدي والتزمت على التحجر اللغوي، مثلما نجد ذلك في مقاله "الحباحب" و"نقيق الضفادع". ثم نقداً للعروض التقليدية في مقاله الموسوم بـ: "الزحافات والعلل"

وظهور "الغربال" قد زامن الديوان للعقاد والمازني، كونهما يرميان إلى هدف واحد هو الثورة على التقليد ومدرسة البعث والدعوة لأدب جديد، علماً بأن المنهج الذي سار عليه نعيمة في غرباله منهجا تأثرياً ذاتياً، لأن لكل ناقد غرباله ومقاييسه وموازينه.

ومن مقاييس الشعر التي وضحها نعيمة في غرباله مكن تلخيصها فيما يلي:

- 1 حاجتنا إلى الإفصاح عن كل ما ينتابنا من العوامل النفسية، التي تتراوح بين شيء ونقيضه أو ضده،
- 2 حاجتنا إلى نور تهدي به في الحياة، وكان يقصد بذلك نور الحقيقة.
- 3 حاجتنا إلى الجميل في كل شيء، وإن اختلفت أذواقنا، فهناك جمالا مطلقاً قد نشترك فيه كلنا.
- 4 الحاجة للموسيقى التي تمثل ربما لحناً أو صوتاً عذبا تميل إليه الروح وتتجذب نحوه.

أهم القضايا النقدية في كتاب الغربال لمخائيل نعيمة:

عالج مخائيل نعيمة قضايا نقدية عديدة، يمكن عدها حقائق نقدية تميز منهجه النقدي، فمن أبرزها ما أشار في غرباله عن النقد والناقد من خلال مقاله المعنون بـ "القص من النقد الأدبي هو التمييز بين الصالح وغير الصالح، بين الجميل والقبيح، بين الصحيح والفاقد". منهجه في ذلك التمييز بين الأعمال

الأدبية جميلها من شنيعها، صحيحها وزائفها، إذ شبه العملية النقدية بعملية الغربلة، التي تهدف إلى فصل الغث عن السمين عبر ثقب الغربال.

بهذه العملية النقدية ينتهي الناقد بها إلى النقد السليم، وعليه ينتهج في ذلك منهجا انطباعيا يتخذه أساسا متينا يمحص به عمليته الإجرائية هذه؛ لأن " لكل ناقد غرباله، لكل موازينه ومقاييسه، وهذه الموازين والمقاييس ليست مسجلة لا في السماء ولا على الأرض ... إلا أن هناك خلة لا يكون الناقد ناقدا إذا تجرد منها، وهي قوة التمييز الفطرية ... فالناقد الذي ينقد حسب القواعد التي وضعها سواه لا ينفع نفسه ولا منقوده ولا الأدب في شيء ... إذ لو كانت لنا قواعد ثابتة لتمييز الجميل من الشنيع، والصحيح من الفاسد لما كان من حاجة بنا إلى النقد والناقدين، بل كان من السهل على كل قارئ أن يأخذ تلك القواعد ويطبق عليها ما يقرؤه"¹⁰. فكأن لكل ناقد مقاييس أو معايير خاصة تسعفه جراء عمليته النقدية، التي ينطلق فيها من فطرته وقناعاته الشخصية.

ومن القضايا النقدية البارزة أيضا:

- نجد طرحه لقضية اللغة والأدب؛ فقد ناقش مسألة اللغة في الأدب في مقاله المعنون بـ "نقيق الضفادع" ملخصها أن الأصل في اللغة أداة للإفصاح عن أفكار الإنسان وعواطفه،

فمخائيل نعيمة حينما طرح هذه القضية، سعى من ورائها توضيح توجيه اهتمامنا بغاية الأدب أولا، غاية تتعدى الصياغة اللغوية، دون غض البصر عن أهمية اللغة في قوله "فهي حرية باعتبارنا لأحبابها. بل غيرة على الغاية الكبيرة التي نستعملها من أجلها"، لذا تراه يدعو هنا إلى التحرر بالأدب عن طريق مسلك الإبداع والخلق، فلا بد من الانسلاخ من كل القيود التي طالما قيدت الأقلام وقتلت روح الابتكار وسجنت المواهب، فيضعف الأدب والنقد فيها، بل يؤولا إلى الموت لا محالة، ويبقى الأديب والناقد لا يتقنا إلا فن النقيق ليس إلا.

- أشار ميخائيل نعيمة أيضا في غرباله إلى مفهوم الشعر والشاعر الذي شهد تعريفات عدة، "فقسم منها ينظر إلى الشعر من جهة تركيبه وتنسيق عباراته وقوافيه وأوزانه، والآخر يرى في الشعر قوة حيوية، قوة مبدعة ... والشعر في الحقيقة ليس الأول وحده ولا الثاني فقط. بل هو كلاهما"،

وهذا ما صرح به نعيمة في مقاله "الشعر والشاعر" بمفهوم شامل للشعر، إذ جعل منه معادلا للحياة نفسها بكل تفاصيلها وأدق جزئياتها، لأن الإنسان/ الشاعر يعبر عن حاجاته الروحية،

- أما عن قضية العروض فقد أفرد لها ميخائيل نعيمة حديثا كذلك، حيث سخر من العروض والزحافات والعلل، وأعلن مؤكدا أنه لا الأوزان ولا القوافي، بوصفها مواصفات عروضية لا تعد من ضرورات الشعر، مثلما أن المعابد والطقوس ليست من ضرورات الصلاة والعبادة.